

شعرية انفلات بنية مصطلح قصيدة النثر في النقد المغاربي

نوبصر رياض *

riadh.nouiceur@ummto.dz

المشرفة: أ.د. بعيو نورة

noura.adabe@gmail.com

مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري . تيزي وزو

النشر: 2023/12/10

القبول: 2023/11/12

تاريخ الإرسال: 2023/02/14

الملخص:

لقد جاءت قصيدة النثر مختلفة ومفارقة للثقافة الشعرية القديمة ، ويتجلى ذلك في ملامتها للجديد على مستوى اللغة: التكثيف الدلالي ، الإيحاءات الرمزية.. وهذه الصورة الشعرية المغايرة لم تكن مألوفة من قبل ، ولعل مقاربتها المتمثلة في جملة من القراءات الاستنطاقية تبرز أهم نقاط التحول والتجديد في هذا الجنس الأدبي الذي يكشف عن القيمة الفنية لمثل هذه النصوص الإبداعية التي ساهمت في إنتاج ملتقى فعال يعيد الاعتبار إلى عهد جديد تعيشه قصيدة النثر و إلى عهد جديد تعيشه قصيدة النثر ، وإذا كان هذا النمط الشعري الجديد قد حاول أن يساير المناهج النقدية المعاصرة ، فهذا من أجل بناء نصية شعرية جديدة منفتحة على آفاق الدرس النقدي الحديث وهذا ما سعيينا إليه أثناء الخوض في غمار بحثنا بغية استكمال الإجراءات النقدية التي تقتضيها مثل هذه الأجناس الأدبية.

الكلمات المفتاحية: قصيدة النثر ، مسارات النقد المغاربي ، شعرية السرد ، انفلات البنية

والمصطلح.

* المؤلف المرسل:

Poetic escaping the structure of the term prose poem in Maghreb criticism

Abstract : The prose poem was different and contradictory to the ancient poetic culture, and this is evident in its contact with the new at the level of language: semantic condensation, symbolic overtones. This literary genre that reveals the artistic value of such creative texts that contributed to the production of an effective forum that restores consideration to a new era in the prose poem and to a new era in the prose poem

And if this new poetic style has tried to keep pace with contemporary critical approaches, then this is in order to build a new poetic text that is open to the horizons of the modern critical study, and this is what we sought while delving into the midst of our research in order to complete the critical procedures required by such literary genres.

key words : Maghreb criticism tracks ؛Narrative poetics؛The looseness of structure and terminology؛ prose poem

1- مقدمة: شهدت مرحلة ما بعد الحداثة ظهور تيارات أجناسية عديدة ، استطاعت أن تستقطب المبدع لخوض غمار التجريب واكتشاف طرائق جديدة في الكتابة تماشى وذائقة القارئ في هذا العصر الذي يطمح دوما لتلقي خطابات تعالج واقه المعيش بأسلوب يكسر ذاك الروتين الذي كان سائدا من قبل ، وهذا ما قد أفرز لنا أشكالاً تعبيرية جديدة تختلف قوالبها وأبنيتها النصية ولغتها ، عن تلك الأشكال التقليدية التي بدورها- حسب كثير من روادها- لا تتوافق ومستجدات هذا العصر ، ولعل السياق يسمح لنا بذكر أبرز هذه الأشكال الجديدة التي نحن بصدد الإشارة إليها ، فنذكر على سبيل المثال: القصة القصيرة جدا والقصيدة الومضة والقصيدة السردية وقصيدة النثر ... وتعتبر هذه الأخيرة — موضوع سياقنا هذا- فهي قد أحدث صدمة وأزمة كبيرتين ؛ صدمة فيما تعلق بهويتها وقالبها المرن الذي لا شكل له إلا شكل الإناء الذي يوضع فيه وأزمة كبيرة ارتبطت بتلقي بنيتها النصية

ليس على مستوى ذائقة الناقد وحسب ، بل حتى على مستوى ذائقة المتلقي وكان سبب ذلك نتيجة هدمها لقوانين الشعرية القديمة ، أبرزها مفهوم الشعر وكذا هدم تلك الحدود الأجناسية التي كانت فاصلا بين أجناس أدبية عديدة ، فأصبحنا أمام نص أجناسي جديد أنتج لنا مفاهيم جديدة لجنس الشعر بلغة لا تكاد تتشابه في أسلوبها وفلسفتها مع لغة القصيدة التقليدية إلا فيما ندر.

ولعل هذا ما اعتبره كثير من شعراء قصيدة النثر ، أمرا طبيعيا يتماشى ومتطلبات الراهن الذي امتزجت فيه ثقافات وايدولوجيات مختلفة ، فاعتبروها لا تشكل قطعة مع القصيدة العمودية أو قصيدة الشعر الحر ، بل إنها عُدَّت نوعاً أدبياً حقيقياً ، وإن لم تكن ملامحها واضحة لحد الآن ، وقد استطاعت أخيراً أن تتحوّل من (الهامش إلى المركز) كونها نوع من الكتابة الحرّة ، وهذا ما أكّده الشاعر عز الدين المناصرة ، حيث يرى أن قصيدة النثر هي نصّ مفتوح على أنواع سردية ونثرية وفيه درجات عالية من الشعرية ، أي أنّه كتابة حرّة ومن ثمة هو جنس مستقل ، لأن من مميزات قصيدة النثر الاستقلالية بجانب الإيجاز والوحدة الموضوعية¹.

ولكن بالرغم من ذلك تبقى القصيدة الموزونة لها تأثيراتها الجذابة والصادمة أحيانا لذلك كان لزاما البحث عن قالب لغوي يحويها ، بفلسفة جديدة في الكتابة تعكس طموحات المتلقي ، فهل استطاعت قصيدة النثر — في خضم هذا الصراع- إنتاج لغة شعرية تتماشى مع ما يصبو إليه روادها؟ وماهي الفلسفة اللغوية الجديدة التي تعتمدها؟ وهل هي قادرة على اكتشاف آليات لغوية تتماشى والراهن تستطيع منحها جوازها الشعري؟

إن ما تجدر الإشارة إليه ، قبل الخوض في بنية انفلات لغة القصيدة وجمالياتها يلزمنا في الوقت ذاته تبيان ملامح انفلات بنية المصطلح ، والوقوف عند بعض الإبدالات النصية التي يقترحها النقد المغاربي لهذا الجنس الشعري الجديد ومعرفة إذا ما كانت هذه الإبدالات قد أزالَت الغموض وخففت من حدة التضارب والتصادم بين عديد النقاد ، أم أنها عكس ذلك تماما زادت الطين بلة؟ وكذا معرفة إذا ما حققت (الإبدالات) ما يصبو إليه المتلقي من تحقق الجمالية وذلك بالتأثير في ذائقته بالتفاعل مع مثل هذه النصوص.

2- انفلات بنية ودلالة المصطلح اللغوية: لعل كثيرا من المفارقات اللغوية أصبحت

تراود قصيدة النثر ، وأبرزها ما تعلق ببنية المصطلح بحد ذاته ، ويتجلى لنا ذلك في تضارب

الكتابات النقدية حولها²؛ حيث أحدثت خرقاً لأفق توقع الكثير من النقاد في العصر الراهن، نتيجة الجمع بين مصطلحين متناقضين (الشعر والنثر) اللذان اعتادت الذائقة العربية على تلقي كل واحد منهما على حده، فمصطلح (شعر) يعني البناء والنظام، في حين أن مصطلح (نثر) يعني الفوضى والهدم، وهنا مكنم الانفلات اللغوي في بنية المصطلح، فلا يمكن للمولود الجديد أن يكون ذكراً وأنثى في نفس الوقت، وإذا كان كذلك فهو مشوّه جنسياً، واعتادت أيضاً على التفريق بين خصائص كل منهما، ولعل تبرير ذلك يكمن مرده نتيجة للترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي (le poème prose) لذلك وجب علينا تبيان هذه المواقف المتضاربة حول هذا المصطلح نحن نرى بأن قصيدة النثر هي جنس مغاير لا هو شعري ولا هو نثري يأخذ من الشعر كما يأخذ من النثر، ما دمنا قد سلّمنا بأن القصيدة غريبة المنشأ وغير عربية، فأغلب الشعراء لم ينشروا تحت هذا المسمى قصائدهم إلا "إذا اعترف أصحابها بأنها قصيدة نثر، وفي هذه دلالة على أنّ هذه القصيدة كانت موجودة وكان موجود معها الكثير من الأجناس الأخرى"³.

إن ما حدث لمصطلح قصيدة النثر، هو بمثابة انفلات في عدم قدرة رواد هذا الجنس الشعري الجديد، بأن يمنحوه اسماً معرفاً لا نكرة، اسماً يستقل بهويته عن باقي الأجناس لذلك نلحظ انفلاتاً لغوياً في ضبط بنية المصطلح نتيجة عدم اتضاح جنس هذا الشكل وصورته النهائية، وما تجدر الإشارة إليه أنّ الانفلات لم يقتصر على بنية المصطلح فحسب بل أيضاً في عدم تحديد جنس هذا المولود وانتمائه، ومن أدلة هذا هو تعدد المسميات له ولعل السياق يلزمننا بإيراد بعضها حتى يتضح لنا ذلك، إلا أنه من الضروري تبيان أمر مهم وهو أننا وجدنا تنوعاً وانفلاتاً في ضبط المصطلح عند الناقد الواحد؛ بحيث نجد مجموعة من المسميات لهذا المولود نابعة من ذات ناقدة واحدة، وهذا ما زاد الأمر تأزماً، وسنحاول منح أمثلة واضحة ومختصرة لبعض النقاد المغاربة المعاصرين والذين وجدنا كتاباتهم النقدية منصبة على هذا النوع من الكتابات الشعرية.

3- انفلات بنية ودلالة المصطلح عند الناقد عبد الله شريق⁴: يعتبر الناقد المغربي

عبد الله شريق من أبرز النقاد المغاربة الذين اهتموا بهذا النوع من الكتابة الشعرية⁵، بحيث حاول معالجة أهم الإشكاليات التي صحبت ظهوره، كإشكالية الهامية وإشكالية التجنيس وإشكالية المصطلح، إلا أننا التمسنا في مبحثه المخصص لإشكالية المصطلح، نوعاً من

الاضطراب اللغوي نتيجة منحه عددا هائلا من الإبدالات دون تمحيص دقيق ودراسة شاملة بهذا النوع من الكتابة، فيذهب في دراسته السالفة الذكر، إلى أنَّ التصوص الشعريَّة الثَّرية المغاربية توظف إما لغة الانزياح والخرق والرَّمز، وإما لغة الحديث اليومي وإما تستعمل أسلوب السرد والحوار، و ينتج عن هذا- حسب- تعدُّدًا للرُّؤى الشعريَّة العامَّة؛ إذ تصدر بعض النصوص الشعرية الجديدة عن رؤية ذاتية، أو رؤيا يتشابك فيها الوجدان الفردي بالوجدان الجماعي، و تنفتح على آفاق اجتماعية ووطنية و إنسانية، وهناك نصوص تُهيمن عليها ظلال الرؤيا الصَّوفية اجترارا و تناصا وامتصاصا⁶.

أما بالنسبة لإشكالية المصطلح - وهو بيت القصيد- فالناقد **يرفض** مصطلح قصيدة النثر جملة وتفصيلا، وكل ماله علاقة أو صلة به، لأنَّ هذا المفهوم يجمع بين جنسين متناقضين، كل واحد له ثوابته وقواعده، بينما قصيدة النثر هي "إبدال من إبدالات الشعر العربي الحديث و أحد أشكاله الجديدة، لذلك نجده يمنح إبدالات أخرى لهذا المصطلح منها: التجربة الشعرية الجديدة الحساسة الشعرية الجديدة، الجيل الشعري الثمانيني"⁷، بدلا من (قصيدة النثر) التي هي ضحية للترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي (poème en prose). ولعنا نلاحظ هذه الانفلاتات اللغوية وعدم تحكم الناقد في عملية صياغة المصطلح وضبطه أو منح اسم مُعرّف لهذا المولود الجديد، فعبد الله شريق لم يخفف من حدة ذاك التضارب القائم حول إشكالية المصطلح، وإنما زاد الطين بلة بطرحه إبدالات لا تتوافق مع البنية النصية لهذا النمط الشعري الجديد؛ فعلى سبيل المثال مصطلح التجربة الشعرية الجديدة لا يرتبط بقصيدة النثر فقط، بل يرتبط أيضا بتجارب شعرية أخرى، كالقصيدة الومضة والقصيدة السردية...، فهذا الإبدال الذي يطرحه الناقد ليس اسما أو مصطلحا علميا وإنما هي صفة تشترك فيها عديد التجارب الشعرية كما أسلفنا وهذا ما يدل أيضا على أن الناقد يمارس أيضا ما يسمى بلعبة التجريب فيما يرتبط بعملية توليد المصطلح، حيث يقوم بطرح عدد من البدائل منها (الجيل الشعري الثمانيني الحساسة الشعرية الجديدة...) (التجربة في الساحة النقدية، و ينتظر تفاعلا من قبل جمهور متلقٍ بالرفض أو القبول، وكأنه ينتظر منا اختيار ما هو مناسب لهذا المولود، إلا أن مثل هذه الممارسات لا تعتبر أمرا منطقيا ما لم تكن على دراية حقيقية بفعل التجريب وبحقيقة تامة أيضا ببنية هذا النمط الكتابي الجديد، ولعلّه - حسب علم المصطلح - لم يحسن عملية تحيين⁸ (Actualisation)

المصطلح وفق خصائص ثقافية ترتبط براهن ولادة قصيدة النثر ، وترتبط أيضا بعملية ضبط المصطلح ودقته ، وفق ما تقتضيه الأصول الاستمولوجية في عملية إنتاج المصطلح . وما يثبت ما بيناه سابقا ، هما التسميتين الأخيرتين (الجيل الشعري الثماني والحساسية الشعرية الجديدة) ، فهما لا تنتميان إطلاقا إلى حقل المصطلح العلمي ، ففيما يرتبط بمسمى الجيل الشعري الثماني ، فهي أيضا صفة مشتركة بين فريق من الشعراء والروائيين كتبوا نصوصا تنتمي لأجناس أدبية متنوعة ، بل حتى ولو أخذنا بمصطلح الجيل الشعري ، نجد أنفسنا أمام إشكال آخر ، يرتبط بأشكال شعرية متنوعة ، فعندنا جيل ثمانيني في القصيدة العمودية وجبل ثمانيني في قصيدة التفعيلة وجيل ثمانيني في الشعر الحر فقصيدة النثر لأي جيل تنتمي ؟ فإذا اعتبرنا أن المصطلحات هي لغة العلم ومفاتيحه ، فلا بد من الابتعاد عن ذاك الارتباك الاصطلاحي* الذي يؤدي إلى خلل في التواصل ، والمتتبع الحذق يلمس انفلاتا واضطرابا واضحين في عملية وضع المصطلح في الثقافة العربية المعاصرة وعدم تناسق الإبدالات المقترحة لهذا الجنس الحدائي⁹ ، وهذا ما جعل جميع المسميات السالفة الذكر ، تنحرف عن تلك المفهومات اللغوية التي وردت في عديد المعاجم اللغوية ، وسنورد أبرزها ، فكما جاء في لسان العرب لابن منظور ، أن " الصلاح ضد الفساد واصطلاح القوم أي تصالحوا"¹⁰ ، فما نستنتجه من هذا المفهوم اللغوي ، أن علم المصطلح وضع خصيصا لتجنب الانشقاق والاختلاف الحاد ، لا لزيادة الصراع والفوضى ، ووضع خصيصا لغرض الإصلاح لا لغرض الإفساد ، وهذا يعد من أبرز أهداف علم المصطلح .

إذا فنحن نرى نوعا من التداخل بين مصطلح قصيدة النثر ومصطلحات أخرى متعددة ، منها: النثر الفني ، الشعر المنثور ، النثر الشعري ، القصيدة المنثورة ... إلخ وهذا كله يزيد من حدة عدم التمييز بين خصائص عديدة لهذه الأجناس ، فمما قاده إلى هذا هو الخلط بين مصطلح قصيدة النثر وبين مصطلحات عديدة واكبت ظهوره وحملت الدارسين على ذلك الخلط .

4- انفلات بنية ودلالة المصطلح عند الناقد رشيد يحيايو¹¹ : يعد الناقد رشيد

يحيايو ، من النقاد البارزين الذين لهم اهتمام بالغ بإشكالات قصيدة النثر وذلك من خلال دراسته الموسومة بقصيدة النثر أو خطاب الأرض المحروقة ، فالمتعمن في هذه الدراسة يدرك موقف الناقد من مصطلح قصيدة النثر ، بحيث يظهر لنا موقفه متحفظا إزاء هذا المصطلح

نتيجة التعارض الكبير في الدلالة كما أسلفنا سابقا ، لذلك نجده يقترح بدائل أخرى يقول: "وكان يمكن أن يتم اختيار بدائل أخرى مثل: (القصيدة المنشورة أو القصيدة المكتوبة نثرا أو القصيدة النثرية ، أو القصيدة بالنثر)... ولو تم اختيار أي من هذه البدائل ، لكان الخطاب النقدي حول قصيدة النثر قد اتخذ مسارات أخرى"¹². إذن من خلال هذا القول يتبين لنا مجموعة من المصطلحات التي طرحها الناقد رشيد يحيوي كبديل لمصطلح قصيدة النثر لكن ما تجدر الإشارة إليه بعد معاينة ومراجعة هذه الإبدالات ، يتجلى لنا أنّ طرحها يندرج ضمن خانة الاستعجالية في توليد المصطلح ، وما نلاحظه أيضا غياب الدقة والجدية فيها وكأن أمرها أمر ساذج لا يستوجب جهدا ذهنيا ولا يستدعي تركيزا بالغا ، لأنه من الخطأ مثل هذه الممارسات التي لا تمت بأية صلة لقوانين علم المصطلح ، فلا يمكن معالجة مشكلة بمشكلة أو أزمة بأزمة ، ولعلّ المتأمل في هذه البدائل يدرك أنّها في حدّ ذاتها تحمل تناقضا فالنقد المغاري يريد مصطلحا لا يجمع بين متناقضين ، فما نلاحظه أنّها ما زالت تجمع بين متناقضين (قصيدة/نثر) ، كما أنّ الناقد رشيد يحيوي لم يكن دقيقا في ضبط هذه المصطلحات ، فكيف يفرض مصطلح (قصيدة النثر) ويبدله بمصطلحات شبيهة ؟ وهذا ما لا يتماشى مع المنطق العقلي ، ثمّ أنّه لم يمنحنا مصطلحا واحدا مؤسسا ومضبوطا وفق قواعد وأسس منطقية ، فكأنه ألقى بمجموعة من المصطلحات البديلة وترك لنا المجال للاختيار فهل يعقل هذا ؟ فضبط المصطلح هو من اختصاص الناقد لا المتلقي ، لذلك نرى أن هذه البدائل هي بدائل ذاتية خاصة برشيد يحيوي لوحده فقط ، كما أن المتأمل فيها أيضا ليس بإمكانه أن يجد بديلا واحدا من الممكن تداوله في الساحة النقدية. فرشيد يحيوي قد أضاف نارا إلى نار أخرى كانت مشتعلة قبله بين النقاد سواء النقاد المشاركة أم النقاد المغاربة.

وترتبا على تقابل مفهومي (النثر) و(القصيدة) ، "سيشار إلى انطواء قصيدة النثر على مبدأ التناقض على حدّ ما نراه في تصوّر العلاق المستمد من المصطلح ذاته ، إن هذا المصطلح يخزن قدرا مثيرا من التناقض ، وهو تناقض قصيدة ذاتها شكلا وطبيعة"¹³. ويشير حاتم الصكر في السياق نفسه ، إلى "أن لقصيدة النثر تناقضات لم يلتفت إليها الدارسون في رأيه ، ومنها تلك التي تبدأ من اسمها الذي يحيل إلى ضدين: قصيدة / نثر ، وتمرّ بنائها العام الذي يقرن النظام بالفوضى وصولا إلى دلالتها القائمة على إشراقيتها الداخلية بمقابل نزوعها الشكلي المجرد"¹⁴.

5- انفلات بنية ودلالة المصطلح عند الناقدة حورية الخمليشي¹⁵: تذهب حورية

الخمليشي إلى أنَّ قصيدة النثر العربية كان ظهورها نتيجة التحوّلات المختلفة التي عرفها المجتمع العربي، وكذا الإبدالات النصّية الجديدة التي مرّت بها القصيدة العربية، وتبين الخمليشي أن ظهورها في الشعرية العربية كان بعد الشعر المنثور، بينما الشعر المنثور كان ظهوره بعد قصيدة النثر في الشعرية العربية، أمّا فيما يخصّ البواكر الأولى لنشأتها فهي ترجعها إلى الأربعينيات متمثلة في كتابات البير أديب وحسين عفيف، وهي محاولات تدرج جميعها تحت راية الشعر المنثور¹⁶. فمن خلال هذا القول يتبين لنا أن الناقدة تقرّ بأنّ ظهور قصيدة النثر العربية كانت له إرغاصات غربية، فظاهرة التأثير والتأثر هي ظاهرة حتمية في كلّ المجالات، فالمجتمع العربي كانت تربطه علاقات مختلفة مع نظيره الغربي، مما يفتح مجالا واسعا للمثاقفة بين شعوب هذه المجتمعات، فليس بإمكاننا أن ننكر التأثير الغربي لكنّ لكلّ مجتمع خصوصياته، فالإقرار بالتأثير المبالغ يلغي الخصوصية العربية ويربطها بتبعية لا يمكن التخلص منها في خضمّ هذا الصراع الثقافي والاجتماعي، ويقودنا هذا الصراع إلى طرح إشكالات عديدة، ولعلّ أبرزها تلك المتعلقة بهوية هذا النمط من الكتابة، فهل قصيدة النثر العربية هي نفسها قصيدة النثر الغربية؟ وهل ما عبرت عنه قصيدة النثر الغربية هو نفسه ما عبرت عنه قصيدة النثر العربية؟ إن ما تجدر الإشارة إليه حسب قراءتنا المتواضعة لبعض النصوص النثرية العربية، أنّ فهناك اختلاف كبير وواضح من حيث المواضيع المعالجة والرؤيا الشعرية، وكذا الإبدالات النصّية... وغيرها من الاختلافات التي لمسناها في نصوص رواد هذا الجنس الكتابي.

أمّا فيما يخصّ إبدالات المصطلح، فيبدو لنا، أن الناقدة كثيرة الميل إلى مصطلح الشعر المنثور *prose poème* الذي تعتبره: "نمطا من الكلام بين الشعر والنثر، يختلف عن النثر بنغمته الموسيقية وجمله المنسّقة تنسيقا شعريا أخاذا، كما يختلف عن الشعر بتحرّره من الوزن والقافية"¹⁷. فما نلمحه في هذا القول أن الناقدة تلمّح لوجود بعض العلائق بين الشعر المنثور وقصيدة النثر، مع الإشارة إلى اختلاف في بعض القواعد الكتابية والبنى النصّية، كما نلمح أيضا أنها تقرّ ضمّنها بوجود حدود وهمية بين هذين الجنسين، أو أنّ هناك تقاطع كبير بين أبنيتها النصّية، أمّا فيما يخصّ اعتراف الناقدة بهذا النمط الكتابي، فهي تمنحه جوازه الشعري، وتقرّ بأنها (قصيدة النثر) قد وصلت إلى مستوى عالٍ من التعبير

في كتابات محمد الماغوط وأدونيس وأنسي الحاج ، فثقافة أدونيس بوأته مكانة شعرية و ثقافية عالية – فحسبها- أنه كان يدعو إلى تحديث الشعر العربي كوسيلة للخلق والمعرفة والإبداع وعدم الانحصار في طبيعة شكل القصيدة الكلاسيكية ، وليست دعوة أدونيس تمردا على بنية الشكل القديم والتخلص من قيود الوزن والقافية وكذا فتح المجال للعديد من الشعراء الطفيليين حسب ما يعتقده الكثير من النقاد ¹⁸.

6- انفلات بنية ودلالة المصطلح عند الناقد عبد الملك مرتاض: إن موقف الناقد

الجزائري عبد المالك مرتاض ، يبدو قاسيا لدرجة كبيرة اتّجاه هذا المصطلح فهو يرفضه رفضا مطلقا يقول: "إنّ قصيدة النثر كما شاع إطلاق هذا المصطلح الهجين الرّذل على هذا الضرب من الكلام ، الذي يتساهل بعض النقاد المعاصرين فيعزونه إلى الشعر ، وما هو في رأينا بالشعر"¹⁹. إن موقف الناقد كان صريحا وواضحا لا يحتاج إلى إزالة إبهام أو تنوير فمصطلح قصيدة النثر مصطلح غير مرغوب فيه بالنسبة له ، أما سبب هذا الحكم القاسي فيرجع إلى الغياب الكامل للشعرية في هذا الجنس الكتابي ، فحسبه لا شعرية خارج الإيقاع ، يقول: "فأي شعر يمكن أن يمثّل خارج الشعرية بمعنى (la poéticité) في اللغة الفرنسية ؟ وأي شعرية يمكن أن تمثّل خارج الإيقاع (le rythme)" ²⁰ ، فاستنادا إلى هذا القول نلاحظ ، أنّ الناقد عبد المالك مرتاض يرفض بنية مصطلح قصيدة النثر ، كما أنه لا يعترف بهذا الجنس الشعري في الساحة الأدبية لأنها حسبه: "حاولت أن تمرّق من جلده- أي الشعر- وتتنكر لوضعه ، وتثور على طبيعته فهي – أي قصيدة النثر – كفرت بالإيقاع وتجرّدت منه ²¹ ، ويبدو

النقد المغاري	المصطلح البديل
- عبد الله شريق	- التجربة الشعرية الجديدة.
- رشيد يحيايو	- القصيدة المنثورة ، القصيدة المكتوبة نثرا.
- حورية الخمليشي	- الشعر المنثور
- عبد المالك مرتاض	- اللاشعر ، الأدب الجديد ، الشعر المنثور.

سبب رفض هذا النمط الشعري واضحا في هذا القول ، وهو اهمال قصيدة النثر لأهم أساس شعري وهو الإيقاع ، والمتمثل في الأوزان العروضية ، وهذا ما جعل عبد المالك مرتاض يعبر عن ذلك بعبارة (تمرّق من جلده) ، فهو لا يعترف بشرعيتها وشعريتها ، كجنس أدبي له

مقوماته وخصوصياته في الساحة الأدبية ، وبقدر الناقد بأن لقصيدته النثر في سوق النقد الكثير من الخصوم ونلمح ذلك في قوله: " وإنك لتجد لقصيدته النثر في سوق النقد من الخصوم أكثر مما تصادف لها من الأشيع والأنصار"²².

أما فيما يخص إبدالات هذا المصطلح الهجين -كما يصفه- الناقد فنجد أنه الآخر يلقي بمجموعة من المصطلحات عشوائية ، والتي منها (الأدب الجديد) (الشعر المنثور) (اللاشعر) ، والتناقض يبدو واضحا بين هذه المصطلحات ، فإذا كان الناقد لا يمنح قصيدة النثر جوازها الشعري (اللاشعر) ، فكيف يطلق عليها مصطلح الشعر المنثور؟ إن في هذا لتناقض كبير ، جمع فيه الناقد بين متضادين هما: الشعر/ النثر ، وهذا ليس ببديل ومخرج حسب ما نعتقد ، بل هو فوضى المصطلح. وهذا ما يبيّنه الجدول التالي الذي لخصنا فيه البدائل المقترحة من قبل النقد المغاربي من باب المثال لا الحصر واستنادا على ما سبق ذكره وتناوله :

يتبين لنا من خلال معطيات هذا الجدول أنّ النقد المغاربي لم يستطع أن يحدّد من فوضى المصطلح التي أصابت هذا الجنس الأدبي الجديد ، ونقصد هنا عدم التمكن من تحديد مصطلح وحيد موحد لجنس قصيدة النثر ، ولعلّ هذا يبين لنا الاختلاف الواضح بين النقاد المغاربة ، بل ونجد هذا عند الناقد الواحد ، فكيف نفسر هذا؟ فالبدائل التي يقترحها مثلا الناقد رشيد يحياوي تختلف تماما عن البدائل التي يقترحها الناقد عبد المالك مرتاض والبدائل التي يقترحها عبد الله شريق هي الأخرى تختلف عن بدائل حورية الخمليشي... وهكذا.

ولعلّ البديل الذي يقترحه الناقد المغربي عبد الله شريق (التجربة الشعرية الجديدة) ، هو الأقرب إلى المعقول ، لأنّه لا يحمل تناقضا في بنيته الدلالية ، أي أنّه لم يجمع فيه الناقد بين متناقضين ، كما أنّه لم يكن بديلا رافضا لقصيدته النثر ، مثلما فعل عبد المالك مرتاض باقتراحه لمصطلح (اللاشعر) ، إنّ مصطلح التجربة الشعرية الجديدة مصطلح نراه -حسب رأينا- يناسب هذا الجنس الأدبي الحدائي إذا ما قارناه بباقي البدائل ، وذلك لكونه:

- 1- لم يقص قصيدة النثر من الساحة الأدبية.
- 2- منحها جوازها الشعري.
- 3- لا نلمح تناقضا في بنيته الدلالية كما أسلفنا.

إذن من هذا المنطلق وجب علينا أن نشير، إلى أن بنية المصطلح في قصيدة النثر المغاربية، يثير العديد من الإشكالات التي تجعل النصوص الشعرية لهذه التجربة الجديدة، أشبه بكتلة صماء لا يفهم معناها ومبناها من قبل القارئ العادي، بل وأحياناً يستعصي فك شفراتها حتى بالنسبة للقارئ المتخصص، وهذا ما يعمد إلى خلق منعرجات دلالية يصعب القبض عليها بسهولة، لأنها تجربة تعترتها ضبابية مكثفة إلى حد كبير تعتمد إلى نوع من الاختزال والإيجاز والارتكاز على آلية الإيحاء التي تقوم على أساس علاقة شيء نذكره بآخر لا نذكره، ويجعل العلاقة بينها وبين القارئ قائمة على جدلية البحث عن الغائب في الموجود والمائل في فضاء النص.

ونعتقد أن هذه الآلية تساهم أيضاً في إضفاء شعرية - ليس فقط على بنية المصطلح - وإنما أيضاً على البنية النصية لقصيدة النثر، فخاصية الإيحاء وهدم الحدود الأجناسية التي تبدو ظاهرة في بنيتها، لا يمكن أن نفهمها ونؤولها تأويلاً سلبياً وحسب بسبب هذه البلبلة والفوضى الدلالية التي أنتجها مصطلح قصيدة النثر، بل ينبغي أن ننظر إليها من زاوية إيجابية، فأحياناً يكون للفوضى جمالية لا يدركها إلا أصحاب التفكير الفلسفي العميق ويتجلى ذلك في انطلاق هذا التفكير لأجل اكتشاف حقائق جديدة، نتيجة لمحاولة تشوية حقيقة سابقة، فيضطر العقل للبحث عن حقيقة ما يُروَّجُ له من تزيف وتضليل وبهتان لشيء ما، وهذا ما حدث مع رواد هذا الجنس الجديد، بحيث تجلّت لنا محاولات إبداعية يحاول أصحابها من خلالها، إثبات شرعية قصيدة النثر التي ينتمون إليها بكل ما أوتوا من قوة ذهنية، فظهرت عديد المحاولات مثلما بيّنا سابقاً وبالرغم من تناقضها وتضاربها واختلافها إلا أنّ هدفها واحد وهو الدفاع عن شعرية قصيدة النثر ومحاولة منحها جوازها الشعري ومنحها أحقيّتها ونصيبها من الإبداع.

ويذهب عز الدين المناصرة، إلى أنّ قصيدة النثر طيلة الأعوام الخمسين الماضية لم تحصل على "الشرعية" من التنظير النقدي، لأن هذا التنظير كان شعاراتياً متناقضاً وسبب ذلك وجود فجوة بين التنظير وبين النصوص الإبداعية، لكنها استطاعت أن تكتسب شرعيتها من كمية المنجز النصّي المتنوع والنوعي في النصوص أحياناً، فقد صدرت آلاف

المجموعات الشعرية التي تنتهي إلى هذا النمط الجديد ، مما يوحي أن الاحتياج " للظاهرة متوافر لدى المثقفين العرب ، لكن الصراع بين الشفهي الصوتي وبين الصامت المقروء ظلّ عائقاً أمام وصولها للجماهير ... ويعتبرها نصّاً أدبياً تهجيناً ، مفتوحاً على الشعر ، والسرد والنثر الفني ، عابراً للأنواع ، يفقد إلى البنية الصوتية الكميّة المنظمة ، لكنه يمتلك إيقاعاً داخلياً غير منتظم ، من خلال توزيع علامات الترقيم و البنية الدلالية ، المركبة على بنية التضاد ، وجدلية العلاقات في النص ، التي تخلق الإيقاع الخفي فهي (أي قصيدة النثر) ، نوع أدبي مستقل وله ذاكرة في التراث العربي ، تتمثل بالقراءة الصامتة. ويرجح كثيرون أنّ هذا الجنس ولد بتأثير الترجمة عن الفرنسية والإنجليزية ، ويرى البعض الآخر أنه منقطع عن التراث العربي. ولقصيدة النثر شكلان: الشكل السطري ، وشكل الفقرة النثرية العادية ، أما درجات الشاعرية في قصيدة النثر ، فهي تتراوح مثل أي نوع أدبي بين علو الشاعرية لدى كتّابها الكبار ، وضعفها لدى الناشئة ، و الشاعرية الوسطى لدى الغالبية.²³

فالمناصرة يبين لنا حقيقة وشرعية هذا الجنس الشعري الجديد ، إذ نجد موقفه ليس موقف رفض ، وإنّما هو موقف نقدي بامتياز ؛ إذ يبين فيه أنّ أحسن القصائد النثرية العربية لا تتأتى مباشرة ومن فراغ ، وإنّما بالممارسة الشعرية ، ومعنى ذلك أنّ القصائد النثرية الجيدة كتبها شعراء كبار ، مثل أدونيس وأنسي الحاج ومحمد الماغوط ... لذلك مستويات الشاعرية عنده تتمثل في ثلاث مستويات وهي (شاعرية ضعيفة ، شاعرية وسطى وشاعرية عليا) وكل مستوى من هذه المستويات يرتبط بفريق معين من الشعراء ؛ فريق الناشئة وفريق الوسطية وفريق العليوية ، ولعل التشويه الذي لحق قصيدة النثر تسببت فيه الطبقتين الأولتين - إذ حسبته - جهلهما بالخصائص النصية وعدم الممارسة الجيدة هو الذي زاد من تفاقم الأزمة ، ولعلنا في هذا السياق نستطيع استنتاج موقفه فيما يخص مصطلح قصيدة النثر ، إذ الناقد لا يرفض مصطلح قصيدة النثر ، كما أنه أيضا لا يرفض جنس قصيدة النثر كونه يوظف إيقاعا داخليا خاصا ، ليس فقط على مستوى البنية النصية ، وإنما على مستوى إيقاع بنية المصطلح أيضا ، وفي هذا الصدد نجده يعترف بشرعية قصيدة النثر يقول: "المقصود من الإيقاع الداخلي هو علامات الترقيم ، وتشكيلات البنية الدلالية ؛ فالنثر له إيقاع ، واللوحة لها إيقاع ، والفيلم السينمائي له إيقاع ، لكن هذه الإيقاعات غير منتظمة كذلك الرواية لها إيقاعات لكن لا قانون يضبط هذه الإيقاعات ، إذن كل قصيدة نثر لها إيقاعاتها المتنوعة ومعنى ذلك أنّ تسمية

قصيدة النثر بأنها قصيدة لا وزن ولا صوتية ، هو أمر خاطئ تماماً. لأن الوزن ليس العنصر الوحيد في درجات الشاعرية ، ولأن الإيقاع الخفي في قصيدة النثر يشعر به ، لكنه ذو صوت خافت ، أو مهموس ومن ثمة ، فإن إطلاق صفة شعر التفعيلة على الشعر الحر العربي وصفة قصيدة اللآلؤن على قصيدة النثر ، هو أمر خاطئ أيضاً ، لأن الغرض منه هو تمييز بين درجات في الشاعرية ، وذلك بالتركيز على عنصر واحد منه فقط وهو الوزن ، كما أن صفة اللآلؤن في قصيدة النثر ليست هي العنصر الوحيد في هذه القصيدة ، فهي كتابة تعتمد تشكيلات لغوية عاطفية ومجازية فاللغة والصورة... هما اللذان يمنحان الشاعرية من عدمها حسب ما أسميه بدرجة السيطرة أو ما يسميه جاكوبسون بالمهيمنة²⁴.

إن الإفراط في البحث عن المختلف من قبل رواد هذه القصيدة ، هو الذي جعل ذلك لا يتماشى مع ذائقة المتلقي في هذا العصر ، لأن هذه الذائقة قد اعتادت على المتشابه واعتبرته مقدساً لا يمكن لشيء أن يعوّضه ، ولأجل ذلك راح روادها يبرّون سبب ابتعادهم عن هذا المتشابه الذي ألفه المتلقي مما أدى في كثير من الأحيان إلى نقص ذلك التفاعل بين النص الشعري وقارئه ؛ ولعل الشيء الذي برّوا به على ذلك ، هو أن هيكل القصيدة وروحها أو جسدها وروحها لم يعد يناسب ويتناسب مع روح شاعر ما بعد الحداثة ومع متطلبات العصر وما يصبو إليه المتلقي ، بالإضافة أيضاً أن ذائقة المتلقي تبحث دائماً عن المختلف الذي يجعلها تتميز به عن غيرها ، كونها قد ملّت وسئمت من كل القوالب التقليدية وآلياتها المعيارية ومن هذه النقطة بالذات أراد رواد قصيدة النثر أن تكون لهم سبلا جديدة تخلصهم من ذاك المعتاد الذي يبدو ميؤوساً منه وما ينبغي أن نشير إليه في هذا السياق هو عدم فهم مصطلح قصيدة النثر على أساس أنه مفهوم تجزيّياً أو على أساس احتوائه أو اشتمال بنيته على العلاقة التناقضية بين جنسين أدبيين ، وإنما ينبغي أن نفهمه على أنه كلّ متكامل ، وأنّ لهما لغة واحدة إذ يجمعهما نفس السياق من حيث الحاجة والنشأة ؛ إذ أنّ هناك حدوداً وهمية بين هذه الأجناس وأنّ هناك قاسماً مشتركاً بينها وهو اللغة وللناقد والشاعر المغربي عبد اللطيف الوراري رأيه في هذه القضية حيث يرى أنّه من السابق لأوانه أن نتحدّث عن خصوصيات أو سمات ما يرتبط بمصطلح قصيدة النثر المغربية تحديداً ، وذلك لاعتبارات نوعية ذاتية وموضوعية ؛ منها مثلاً وأساساً ، أنّ تاريخ علاقة الشعر المغربي الحديث بهذا الشكل الشعري حديث عهد حوالي ثلاثة (03) عقود أو أكثر بقليل ، وفي ضوء ذلك قليلاً ما

نجد بعض المحاولات أو التنويعات على شكل نماذج جمالية استقر عليها مصطلح قصيدة النثر²⁵ ولعلّه في هذا السياق نستطيع أن نوجز أهم العوامل²⁶ التي أدّت لظهور هذا المصطلح وهذا النمط الشعري وهي:

- اعتناق اللغة بالنسبة لشاعر قصيدة النثر وتحرّرها .
- ضعف الشعر التقليدي الموزون وانحطاطه .
- التحرّر من وحدة البيت والقافية ونظام التفعيلة الخليلي ، وقد زاد هذا في تقريب الشعر من النثر .
- نموّ الرّوح الحديثة التي ترفض القواعد الصّارمة التّهائية والأشكال المسبقة .
- أثر التّوّارة والتّراث الأدبي القديم في مصر وبلدان ما كان يسميها أنطوان سعادة بالهلال الخصب .
- أثر ترجمة الشعر الغربي على الثقافة العربية الحديثة ، كما ذكرنا آنفا
- ارتفاع مستوى النثر الشعري ، وهو من حيث الناحية الشكلية .

7- مصادر البحث ومراجعته:

- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ص.ل.ح) ، مج 8 ، دار صادر بيروت ، ط 4 ، 2005.
- رشيد يحيائي ، التّبالغ والتّبالغة ، نحو نظرية تواصلية في التراث / الشعرية العربية ، الأنواع والأغراض ، 2014/03/12 <https://www.hbku.edu.qa>
- حاتم الصكر: " قصيدة النثر والشعرية العربية الجديدة ، مجلة فصول المصرية ، (ع3) ، 1996.
- حورية الخمليشي ، الشعر المثنوي والتحديث الشعري ، منشورات دار الأمان ، الرباط ، ط 1 ، 2010 .
- رشيد يحيائي ، قصيدة النثر العربية أو خطاب الأرض المحروقة ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، (دط)
- عبد الله شريق ، في شعرية قصيدة النثر ، منشورات اتحاد كتاب المغرب ، ط 1 ، 2003.
- عبد المالك مرتاض ، قضايا الشعرية ، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر ، (دط) ، 2008.
- عز الدين المناصرة ، إشكاليات قصيدة النثر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1-2002.
- عز الدين المناصرة ، إشكاليات قصيدة النثر ، قراءة نقدية مقارنة ، دار الراية ، ط 3 ، 2015.
- ماري نوال غاري بريور ، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، (تر) عبد القادر فاهيم الشيباني ، ط 1 2007 ، الجزائر.
- محمد علاء الدين عبد المولى ، وهم الحداثة ، مفهومات قصيدة النثر نموذجاً ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، (ب ط) سوريا.

- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008.

8- الهوامش والإحالات:

- ¹ - ينظر: عز الدين المناصرة، إشكاليات قصيدة النثر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1- 2002، ص 65.
- ² - نذكر على سبيل المثال لا الحصر، دراسة عبد الله شريق الموسومة بـ (في شعرية قصيدة النثر)، (وقصيدة النثر العربية) لأحمد بزون، و(قصيدة النثر العربية، التغاير والاختلاف) لإيهان الناصر، (وقصيدة النثر العربية، بين سلطة الذاكرة وشعرية المسألة) لعبد الناصر هلال، (والنص المشكل) لمحمد عبد المطلب...
- ³ - محمد علاء الدين عبد المولى، وهم الحداثة، مفهومات قصيدة النثر نموذجاً، منشورات اتحاد كتاب العرب، (ب ط) سوريا، ص 35.
- ⁴ - عبد الله شريق ناقد مغربي معاصر، من مواليد مدينة الناظور بالمغرب سنة 1953، درس التعليم الابتدائي والثانوي بنفس المدينة، وتابع دراسته الجامعية بكلية الآداب واللغات بمدينة فاس، ناقش أطروحة الدكتوراه بجامعة محمد الخامس بالرباط عام 2006، وهو رئيس فرع اتحاد كتاب المغرب بفرع الناظور، من أهم إسهاماته: إشكاليات وتجليات ثقافية في الريف 1994، في حداثة النص الشعري سنة 1995، في شعرية قصيدة النثر 2003، تاريخ الأدب الأمازيغي 2006.
- ⁵ - كان ذلك في دراسته الموسومة بـ (في شعرية قصيدة النثر الصادر سنة 2003 عن منشورات اتحاد كتاب المغرب).
- ⁶ - ينظر: عبد الله شريق، في شعرية قصيدة النثر، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 2003، ص ص 25-26.
- ⁷ - عبد الله شريق، في شعرية قصيدة النثر، ص 14.
- ⁸ - التحيين: ظهر هذا المصطلح على يد شارل بالي، للدلالة على العملية التي يتم من خلالها الانتقال من اللسان إلى الخطاب، ينظر: ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، (تر) عبد القادر فهم الشيباني، ط1 2007، الجزائر، ص 14.
- ^{*} - الارتباك الاصطلاحي هو غياب الدقة العلمية في عملية توليد المصطلح أو عملية ترجمته.
- ⁹ - ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008، ص 53.
- ¹⁰ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ص.ل.ح)، مج 8، دار صادر بيروت، ط4، 2005، ص 267.
- ¹¹ - هو ناقد وباحث مغربي من مواليد سنة 1961، من أبرز أعماله قصيدة النثر العربية أو خطاب الأرض المحروقة/ التبالغ والتبالغة، نحو نظرية تواصلية في التراث/ الشعرية العربية، الأنواع والأغراض...
- ¹² - رشيد يحيوي، قصيدة النثر العربية أو خطاب الأرض المحروقة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، (دط) 2008، ص 118.

¹³ حاتم الصكر: "قصيدة النثر والشعرية العربية الجديدة"، مجلة فصول المصرية، (ع3)، 1996، ص 78.

¹⁴ المرجع نفسه: ص 78.

¹⁵ - حورية الخمليشي: كاتبة وناقدة وباحثة أكاديمية مغربية، وهي من بين الأسماء النقدية الجديدة في العالم العربي، يقول عنها الدكتور محمد مفتاح في تقديمه لكتابها «الشعر المثنون والتحديث الشعري» بأن «الباحثة تسلك طرق ذوي الخبرة العميقة... وأن بحثها المنظم الأهداف والمعالم يوصل إلى نتائج سارة». وقال عنها الدكتور إدريس بلميلح إنها «نموذج المرأة المغربية المتخلقة بالأخلاق العالية والصوربة جداً على كل ما يعترها من مشقات فيما تحاول أن تبدله من جهد في إشعاع الخطاب النسائي في المغرب بوجهه العلمي الناضج وتوجهاته الإيجابية التي تسعى إلى تصحيح الثقافة المغربية داخل الثقافة العربية. وهو اتجاه بدأ يؤتي ثماره بعد أن تضمن صراعاً ضد اتجاه آخر لا يرى في الثقافة إلا حرباً شعواء ضد الرجل. وهذا شيء لا بد من الوقوف عنده ومن تمثله.

¹⁶ - حورية الخمليشي: الشعر المثنون والتحديث الشعري، منشورات دار الأمان، الرباط، ط 1، 2010، ص 160.

¹⁷ - المرجع نفسه: ص 147.

¹⁸ - ينظر حورية الخمليشي، الشعر المثنون والتحديث الشعري، ص 164-165-166.

¹⁹ - عبد المالك مرتاض: قضايا الشعرية، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، (دط)، 2008، ص 278.

²⁰ - المرجع نفسه: ص 278.

²¹ - نفسه: ص 278.

²² - عبد المالك مرتاض: قضايا الشعرية، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة ص 279.

²³ ينظر: عز الدين المناصرة، إشكاليات قصيدة النثر، قراءة نقدية مقارنة، دار الراجية، ط 3، 2015، ص 42.

²⁴ بنظر: عز الدين المناصرة، إشكاليات قصيدة النثر، ص 53-54.

²⁵ ينظر: عبد الله شريق، في شعرية قصيدة النثر، ص 45.

²⁶ ينظر، عز الدين المناصرة إشكاليات قصيدة النثر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1-2002، ص 115.